مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM
KNOWLEDGE FOUNDATION

2017
كتـــاب في دقـــــائق
ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

الطريق نحو الهدف

كيف يكتشف الجيلُ الجديدُ غايتَه

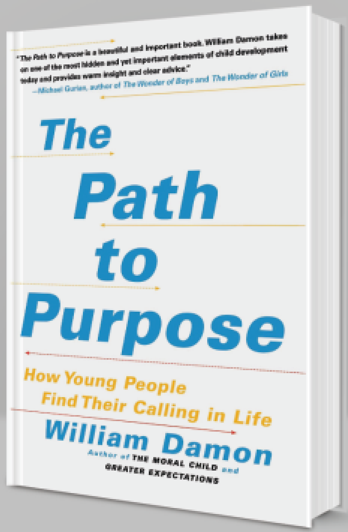

تأليف

ويليام ديمون

132

الرعـاة

شريك استراتيجي
الإمـــــارات للحلـــول العقـــاريـــة
www.eres.ae

DU ADVENT

QINDEEL EDUCATIONAL قنديل التعليمية
www.qindeel-edu.ae

بالعربي
إحدى مبادرات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

في ثوانٍ...

مع اقترابِ موعدِ «قمَّة المعرفة»، الحدث السنوي الذي بات ملتقى عالميّاً ومنصة لتفاعل الاتجاهات المعرفية ونشرها عربيّاً ودوليّاً، نقدم لكم ثلاثة كتب ذات نكهة معرفية جديدة؛ فللمرة الأولى نتناول موضوع «الهندسة الاجتماعيَّة» من خلال كتاب «كريستوفر هادناجي» الذي يتصدى لمحاولات اختراق العقل البشري، حيث يُعرِّف المؤلف الهندسة الاجتماعيَّة بأنها فنُّ استخدام أدوات المتلاعبين في كشف المخترقين ومقاومتهم بنفس أساليبهم، باعتباره علماً يمكن تحويله إلى معادلات مفهومة قابلة للإدراك؛ فالمخترقون يحاولون توظيف ألعاب غامضة لإيهام الناس والتأثير فيهم وإقناعهم بما لا يعونه. وهذا يعني أنَّ الهندسة الاجتماعيَّة أداة ذات استخدامات متنوِّعة كغيرها من التقنيات الحديثة لتقليل احتمالات تعرُّضنا لهجمات المخترقين، ولذا فإنَّ الإقبال على تطبيقاتها سيزداد مع تفاقم حدة المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات عبر الفضاء الإلكتروني.

في الملخص الثاني نعرض كتاب «ثورة المعلومات الرابعة: كيف يُغيِّر الفضاءُ المعلوماتي واقعَنا البشري» لفيلسوف المعلومات في جامعة أكسفورد الدكتور «لوتشيانو فلوريدا»، الذي يرى أنَّ الثورة الرابعة تُعنَى بالكيفيَّة التي تؤثِّر بها التكنولوجيا الرقميَّة في تصوُّراتنا عن أنفسنا، وعلاقاتنا ببعضنا، والكيفيَّة التي نُشكِّل بها العالم من حولنا. فما زال البشر يَنظرون إلى التكنولوجيا كأداة للتفاعل مع العالم، رغم أنها قوىً بيئيَّة وأنثربولوجيَّة واجتماعيَّة ووجوديَّة تُشكِّل واقعنا الفكريَّ والماديَّ، وتغيِّر إدراكنا، وتُعدِّل علاقاتنا بأنفسنا وبغيرنا، وتُحدِّث آليَّات تفاعلنا مع العالم من حولنا، وذلك بنحو نافذ وعميق وبلا هوادة. فالثورة المعلوماتية الرابعة شاملة وتحمل في طيَّاتها فرصةً عظيمةً لمستقبل البشريَّة. والسؤال الذي علينا أن نطرحه في خضم الثورة المعرفية التفاعلية هو: هل سنُحسِن استغلال تقنيات المعلومات والاتصالات التي بين أيدينا اليوم؟

يمكننا الإجابة عن السؤال السابق بـ «نعم»، إن استطعنا قيادة جيل الشباب في مجتمعنا الإيجابي نحو الهدف، وهذا ما يطرحه الدكتور «ويليام ديمون» في كتابه: «الطريق نحو الهدف: كيف يكتشفُ الجيلُ الجديدُ غايتَه». عمل الدكتور «ديمون» رئيساً لمركز دراسات سلوك الشباب في جامعة «ستانفورد»، وهو يرى أنَّ شباب اليوم هم قادة الغد، وحتى في المراحل المبكرة من حياتهم، فإنهم سيتخذون قراراتهم بأنفسهم؛ إذ ليس بإمكان أحد أن يصبح مسؤولاً عن مستقبلهم سواهم. ولكن بإمكاننا أن نعملَ على تمكينهم من اتِّخاذ القرارات السليمة التي يمكن أن تُضفي على حياتهم شعوراً بالسعادة والإحساس بالإنجاز. وتوفير البيئة الملائمة التي تُشعِل خيالهم، وترشدهم إلى ما يثري طموحاتهم، حيث لا يوجد بين مختلف أجيال الشباب من لا يُمكنه تحقيق أهدافه، إذا ما تمَّ تمكينه وإلهامه؛ لأن الطريق إلى تحقيق الأهداف مفتوح للجميع، وحين نساعد الشباب على عبور هذا الطريق، بكلِّ عقباته ومطبَّاته، فإنَّنا نُؤَمِّنُ مستقبلاً واعداً للمجتمع بأسره.

جمال بن حويرب
المدير التنفيذي لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

رحلة البحث عن معنى

يتجلى أحد أكثر إشكاليَّات عصرنا في مشاعر الخواء التي يعاني منها الشباب على مدى سنوات طويلة من حياتهم، حيث يتوهون وينأون عن أهدافهم، بدلاً من أن يستشعروا رسالاتهم ويمضوا قدماً نحو تحقيق طموحاتهم، فقد صارت اللامبالاة والقلق حالتين مزاجيَّتين مهيمنتين على كثير من شباب اليوم، وذلك على الرغم من الطاقة الإيجابيَّة والحيويَّة والفرص المستقبليَّة التي يتمتَّعون بها، والتي يجب أن تفتحَ لهم أبواب المشاركة وتملؤهم بالأمل الذي يمكن أن يرافقهم وهم يبدؤون هذه المرحلة المُزهِرة من حياتهم.

لقد كشفت دراساتُنا المتتالية في «مركز أبحاث المراهقة» في جامعة «ستانفورد» عن عجز الحلول التقليديَّة في التعاطي مع هذه الإشكاليَّة، إذ تبيَّنَ لنا أنَّ المعايير المرتفعة والقوالب السلوكيَّة النمطيَّة والمثاليَّة المطلقة، التي كنَّا نسعى إلى تنشئة الأجيال عليها، لم تكن كافية لحلِّ هذه المعضلة، فالرسالة التي يحملها الشباب على عواتقهم لم تكن لتتبلور وهم يتخطَّون المراحل الحرجة من حياتهم، كي تتحوَّل إلى أهداف وتحدِّيات وإنجازات تكشف لهم عن جوهر شخصيَّاتهم، وعن المعاني التي تَسِم محاولاتِهم وهم يُنافسون على فرص التفوُّق في شتَّى مجالات حياتهم. هناك أسئلةٌ كثيرة نبحث جميعنا عن إجاباتها، فما نسعى إليه من تأكيدنا على أهمِّيَّة وجود غايات واضحة وأهداف نبيلة في حياة الشباب، هو التوجُّه إلى المهتمِّين بمستقبل الشباب من آباء ومعلِّمين وعُلماء ومتخصِّصين، ومواطنين مهتمِّين بصالح المجتمع الذي سيرثُه شبابُ اليوم. كان علينا أن نعرف الهدف من تساؤلات الشباب التي لا تنقطع، ومنها:

- ما الذي يهمُّني؟ ولماذا يهمُّني؟
- ما هدفي الأسمى في الحياة؟
- ما الذي سأحقِّقه بعد كلِّ هذه الجهود التي أبذلها؟
- ما الأهداف العُليا التي تُضفي على جهودي معنى؟

الارتباط بالإنسان والمكان

حتَّى بضعة عقود خلت، وبالتحديد قبل جيل واحد فقط، كان معظم أبناء ذلك الجيل قادرين على تخَيُّل، أو على الأقل التفكير في شريك حياتهم الذي سيرتبطون به، والمكان الذي سيعيشون فيه، والوظيفة التي سيشغلونها. بينما نجدُ اليوم معظم أبناء جيل الشباب يواجهون الحياة بلا مُؤكِّدات أو إجابات عن كلِّ هذه الأسئلة، وهم يستمرُّون على هذه الحال حتَّى الثلاثين من العمر على أقل تقدير، فقد زاد اقتصاد العولمة الحديث من الفرص المُتاحة للشباب للانتقال، والبحث عن إجاباتهم وتحقيق طموحاتهم بعيداً عن مجتمعاتهم التي نشؤوا في كنفها، ممَّا زاد من أحمال الضغوط المفروضة عليهم، بل إنَّ كثيرين من هؤلاء الذي حظوا بأفضل الفرص التعليميَّة، يقضون أعواماً في مُستَهلِّ حياتهم الوظيفيَّة، وهو يُجرِّبون في وظائف تقليديَّة من دون أن يستقرُّوا في مسارٍ مهنيٍّ ثابت، حتَّى صارت فكرة المسار المهني الثابت في حدِّ ذاتها محلَّ شكٍّ، كما أنَّ معظم المسارات المهنيَّة قد تغيَّرت، أو كما يُقال أحياناً: تطوَّرت لتصبحَ سلسلةَ من الوظائف المُنفصلة أو المتقطِّعة وقصيرة المدى. أمَّا بالنسبة إلى الاستقرار العائلي وتكوين أسرة، فإنَّ الشبابَ في جميع أنحاء العالم باتوا يُرجئون الزواج أو يُعرِضون عنه. فإذا ما استمرَّت الأمورُ على هذا المنوال، فإنَّ كثيرين من أبناء جيل الشباب لن يتزوَّجوا مطلقاً، وربَّما يتزوَّجون بعد أن تفوتهم سنوات الإنجاب، وفرصُ تكوين أسر طبيعيَّة تسهم في نموِّ المجتمع وتحافظ على لُحمَته وطبائع أهله.

هذا التأخير في الالتزام بالزواج والاستقرار يحدثُ الآن في جميع أنحاء العالم الصناعي، بداية من «الولايات المتَّحدة» ووصولاً إلى «اليابان» و«أوروبا». ففي «إيطاليا»، وهي الحالة القُصوى، نرى الغالبيَّة العظمى ممَّن بلغوا سنَّ الثلاثين ما زالوا يعيشون مع ذويهم وفي بيوت أسرهم، لأنَّهم لم يتزوَّجوا بعد، ولم يستقرُّوا في وظيفة مأمونة. وفي «الولايات المتَّحدة»، توصَّلت دراستنا التي ركَّزت على الشباب في نهاية مرحلة المراهقة ومطلع العشرينيات، أنَّ مُعظمهم لا يعتبرون الزواجَ والمنزل والأطفال إنجازات وأهدافاً يجب السعي إلى تحقيقها، بل إنَّ نسبةً كبيرةً منهم تعتبرها مخاطرَ يجب تجنُّبها.

لقد اتخذت هذه التأجيلات المتكرِّرة بين كثيرين من أبناء جيل الشباب اليوم مجموعة من السمات المُقلقة، أهمُّها أنَّه لا يبدو أنَّ هذه التأجيلات ستجد حلولاً، فتأجيل الارتباط بالإنسان والمكان ينبع في الجيل الحالي من التردُّد أكثر ممَّا ينبع من التفكير الجاد والإيجابي المُحفِّز، وينبثقُ من الحيرة أكثر ممَّا ينبثق من السعي نحو أهدافٍ جليَّة، وينتج عن تضارب المشاعر أكثر ممَّا ينتج عن العزيمة والإصرار، فهذا الانجراف مع تيَّار «الحياة بلا هدف» لا يُعتَبرُ تأجيلاً حميداً مدروساً، ولذا فهو مشكلة تحتاج إلى حل. فنحن كدارسين وآباء ومسؤولين ندركُ أنَّ غياب الأهداف يعني ضياع الفرص، وأنَّ عدم الارتباط يقود إلى عدم الانتماء، وهذا ما تعاني منه المجتمعات الغربيَّة، مقارنة بما نراه في الشرق، وفي المجتمعات الأكثر انسجاماً وتلاحماً.

دراسة أهداف الشباب

من خلال مقابلاتنا الشخصيَّة واستقصاءاتنا، تبيَّن لنا أنَّ واحداً من كلِّ خمسة من أبناء جيل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و22 عاماً يعبِّرون عن رؤيتهم الواضحة للطريق الذي يريدون أن يسلكوه، وما يريدون أن يحقِّقوه في الحياة، والأسباب التي يتخذونها والاستراتيجيَّات التي يتبنُّونها، وتبيَّن لنا أنَّ نحو 60% ممَّن قابلناهم، كانوا ينخرطون في بعض الأنشطة ذات الآفاق الهادفة، أو عبَّروا عن طموحاتهم وغاياتهم المستهدفة ولكن بلغة وآليَّات غامضة، ولهذا فهم لم يحملوا على عواتقهم أيَّ التزام حقيقيٍّ تجاه هذه الأنشطة، ولم يضعوا خططاً واقعيَّةً لتحقيق طموحاتهم. أمَّا الشريحة المتبقِّية من جيل الشباب، فلم تكن لديهم أيُّ طموحات على الإطلاق، بل إنَّ بعضهم كانوا يظُنُّون أنَّهم لا يجدون سبباً منطقيَّاً يجعلهم بحاجة إلى وضعِ أيِّ أهداف ذات مغزى.

بالنسبة إلى العديد من أبناء جيل الشباب الذين لا يشعرون بالانتماء، فإنَّ افتقارهم إلى غايات كُبرى يقودهم إلى مزيدٍ من القلق تجاه مستقبلهم، دون أن يعوا ذلك بوضوح، فهُمْ يتحدَّثون عن مشاعر القلق التي تسيطر عليهم وعن إحساسهم بأنَّهم يسيرون في طريق الحياة ولا يستطيعون الإمساك بزمام أمورهم، فيقعون تحت المزيد من الضغوط وتستحوذ عليهم مشاعر الإحباط والألم، ففي كتابها: «جيل الاغتراب»، تصف عالمةُ النفس الإكلينيكي «مادلين ليفاين» نمط المعاناة والخواء الداخلي الذي لاحظَته لدى المراهقين المضطربين الذين تتولَّى علاجهم، فقد اكتشفت أنَّ بعض هؤلاء المراهقين يقعون ضحايا لسلوكهم السلبي المدمِّر. فعلى سبيل المثال: جاءتها فتاة في الخامسة عشرة من العمر وقد نقشت على ساعدها الأيسر، كلمة «خواء». وقد لفت الإعلام عبر حملات قويَّة موجَّهة إلى الآباء، الأنظار إلى هذا النوع من «النقوش». إلا إنَّ الدكتورة «ليفاين» تؤكِّد من واقع سجلاتها وبمناقشة الظاهرة مع زملائها في عدَّة مؤتمرات، أنَّ هذه الظاهرة عابرة؛ لأنَّها ما زالت محصورة في فئات اجتماعيَّة ومناطق معيَّنة، ولم تتحوَّل إلى اتجاه عام، ولهذا فقد آثرت أن تركِّز أبحاثَها على الأطفال الأقلِّ اضطراباً ممَّن يأتي بهم آباؤهم لزيارتها بسبب المشكلات التقليديَّة التي يُعاني منها المراهقون بشكل متكرِّر. ومن أهمِّ ملاحظاتِها أنَّ العديد من هؤلاء المراهقين يعمِدون إلى إخفاء مشاعرهم وأفكارهم الحقيقيَّة، فيميلون إلى التذمُّر والتعبير عن القلق بشكلٍ عام، فهم يعترفون بأنَّهم غير سُعداء، ويدَّعون أنَّهم يحاولون أن يستثمروا أيَّ قدرٍ ولو ضئيل من الحماس تجاه أيِّ مساعيهم، لا سيَّما تلك المساعي والأهداف التي يتبنَّونها بأنفسهم. وتنطوي تعبيراتهم عن مشاعر القلق التي تنتابهم على عبارات من قبيل: «أشعر بعدم الاستقرار»، أو «أعرف أنَّني لست سعيداً، ولا أعرف السبب»، ومن أكثر تذمُّراتهم شيوعاً، قولهم: «أشعر بأنَّ شيئاً ما ينقصني من الداخل».

اللاملتزمون

في كتاب «كينيث كينستون» الذي يستطلع آفاق مستقبل الشباب، والذي نشره بعنوان «اللاملتزمون: شباب يعيشون في الغربة»، ويدرس فئات من الشباب الجامعيِّين الذين كانوا يشعرون بالغربة وعدم الاستقرار في مجتمعهم، رغم أنَّهم يعيشون في أوضاع اقتصاديَّة مُرفَّهة، ويدرسون في أفضل جامعات العالم. كان هؤلاء الطلاب يشعرون أنَّهم مغترِبون – وفقاً لوصفه – ويعبِّرون عن شكِّهم في قيمهم، وفي أدوارهم المستقبليَّة في مجتمعهم الغربي، وعدم ثقتهم بمؤسَّسات المجتمع التي تخدمهم. ورغم أنَّهم على قدرٍ عالٍ من التعليم ولديهم القدرة على التعبير عن أنفسهم بوضوح، فلم تكن لديهم أفكارٌ ملموسةٌ يؤمنون بها، أو خططٌ حياتيَّة ينتهجونها. وكان شعورهم بالغربة ذا منحىً فكريٍّ، الأمر الذي يُعلِّله الدكتور «كينستون» بأنَّهم ساروا في الطريق المُعاكس، لأنَّ التفكير العلمي المجرَّد وتلقِّيهم للتعليم العالي المتميِّز، كان من المفترض أن يقودهم إلى طريق الوعي والمسؤوليَّة والالتزام. فما السبب يا ترى؟

أهمِّيَّة الأهداف في الحياة

في مجال علم النفس، هناك تراثٌ ثريٌّ من الدراسات حول الهدف والمعنى. ومن أبرزها تلك الدراسة التجريبيَّة القويَّة التي قامت على الفكرة التي نادى بها «كارليل»، وهي أنَّ الهدف يعمل كدفَّة توجيه تجعلنا نحافظ على مسارنا العقلي والفكري السليم. ومن اللافت للنظر أنَّ هذه الدراسة قد استخدمت عدداً من المناهج، وتبنَّت وجهات نظر متعدِّدة للتأكُّد من فهم أبعاد الموضوع.

فهناك ابتداءً العالم «إريك إريكسون»، الذي يتبنَّى نظريَّة التحليل النفسي، ويستخدم «الهادفيَّة» باعتبارها مفتاح «القوَّة الفرديَّة الحيويَّة» لدى البالغين، وهو يرى أنَّ إحدى المهام الأساسيَّة للإنسان في سنيّ عمره المُبكِّرة هي الخروج من مرحلة الطفولة، والدخول في مرحلة النُضج وهو يعيش في حالة من «الطموح والغاية الواقعيَّين» كما يصفهما.

من منظور آخر، أوضحت عالمة النفس

الاجتماعي «كارول ريف» وزملاؤها أنَّ هناك علاقةً وصلةً قويَّةً بين الهدف، ونموِّ الشخصيَّة وفهم الذات، ومهارات بناء العلاقات، وإحساس المرء بالسيطرة على حياته، وبقدرته على أن يعكس صورةً إيجابيَّةً لذاته. وهذه العناصر، كما تقول «ريف»، هي العناصر المحوريَّة للتفكير الإيجابي والسعادة اللذين يقودان إلى النجاح. ووفق هذا الاستنباط الذي تطرحه «ريف» فإنَّ السعادة والإيجابيَّة هما مدخل النجاح، وليس العكس.

الأهداف الكبرى والصغرى

هل هناك أهداف صالحة وأخرى طالحة؟ وهل الأهداف السلبيَّة هي «أهداف حقيقيَّة»؟ وما فائدة الأهداف إن لم تكن إيجابيَّة ومفيدة لصاحبها وللمجتمع؟ وهل نستطيع أن نعرف ما إذا كانت أهداف الآخرين صالحة أم لا؟

لا شكَّ في أنَّ الخطَّائين والسلبيِّين يتبنَّون أهدافاً سلبيَّة. وكي يكون الهدف جديراً بالتفكير والتدبير والتخطيط وبذل الجهد، فإنَّ «النهج» أو السبيل المتَّبع في تحقيقه لا بدَّ أن يسترشد بحسٍّ أخلاقيٍّ عميق ومُحفِّز. فبلوغ غاية نبيلة يعني أن يكرِّس المرء ذاته وقدراته في سبيل شيءٍ يستحقُّ التحقيق، وأن يفعل ذلك بأسلوب نبيل. وهناك طريقة قويَّة للتمييز بين الغايات النبيلة والغايات الضارَّة، ألا وهي تحليل وسائلها وأهدافها للتأكُّد من نُبلها، وانسجامها مع القيم الإنسانيَّة والكونيَّة الراسخة. فإذا كانت غايتُك هي القضاءُ على الفقر على مستوى العالم بالتخلُّص من الفقراء، فغايتك غير نبيلة. أمَّا إن بادرت بتأسيس منظَّمة دوليَّة فعَّالة، وجمعت الملايين لتعليم وتشغيل الفقراء، فإنَّ أعمالك ستسمو بك مُستندةً إلى نُبل غاياتك.

أين نجد أهدافنا؟

يعتبر العملُ أحد أهمِّ المجالات التي يجدُ الناسُ فيها غاياتهم. وفي العمل، شأن غيره من مجالات الحياة، يمُدُّ وضوحُ الغاية صاحبَه بالطاقة، والقدرة على الصمود والرضا، ففي دراسة أجرتها عالمة النفس «آن كولبي» على أشخاص في منتصف العمر، اكتشفت أنَّ العاملين من موظَّفين تنفيذيِّين وعُمَّال وجدوا غاياتهم في وظائفهم، أي أنَّهم يعتبرون عملَهم وسيلةً للإسهام في المجتمع، ويتحمَّلون من خلاله مسؤوليَّة أسَرِهم. فالسائقون، والمرضون والممرِّضات، والمحاسبون، والنادلات، جميعهم يجدون معنى في أعمالهم، شأن هؤلاء الذين يشغلون وظائف «رفيعة» وكأنَّهم يعملون في مجالات الطبِّ والتكنولوجيا والقانون. قد يبدو هذا الأمر مدهشاً في خضم الشكاوى التي يجأر بها الموظَّفون بسبب الوظائف المُرهقة والمحاطة بالملل، أو بسبب السياسات والإجراءات المؤسَّسيَّة، والروتين والبيروقراطيَّة، وبسبب المديرين المتسلِّطين أحياناً.

الشباب وصناعة الغايات

من المهمِّ اكتشاف المصادر الأكثر أهمِّيَّة في توليد الغايات في عقول الشباب، حتَّى وإن كانوا يعيشون بلا أهداف حتَّى اليوم. وتكشف الأبحاثُ عن بعض النتائج الثريَّة بالمعلومات، وهي مصادر الإلهام التي نستطيع من خلالها تشجيع الشباب على الانخراط في أنشطة نراها ويرونها ذات أهدافٍ ومعانٍ نبيلة. وعندما طلبنا من الشباب الذين صنَّفناهم كإيجابيِّين وهادفين ومتفاعلين أن يُرتِّبوا أولويَّات حياتهم وأهدافهم، جاءت العائلة على رأس قائمة اهتماماتهم، بينما تراجعت القضايا السياسيَّة والاجتماعيَّة إلى أدنى درجات سلَّم الاهتمام، وذلك كما يلي:

- العائلة.
- العمل والوظيفة.
- الإنجاز الأكاديمي.
- الروحانيَّات والمشاعر الدينيَّة.
- ممارسة ومشاهدة الرياضة.
- ممارسة ومتابعة الفنون.
- خدمة المجتمع.
- النشاطات السياسيَّة.

المُنسلِخون والحالِمون والعازِمون

تقسيمات الشباب تبعاً لقوَّة غاياتهم:

- **المُنسلِخون:** وهم الشباب التائهون الذين لا يملكون هدفاً على الإطلاق، فهُمْ لا يسعون ولا يسيرون في أيِّ اتجاه هادف، ولا تبدو عليهم علامات الاهتمام بالبحث عن غاية أو تطلُّع للمستقبل.
- **الحالِمون:** وهم الذين يعبِّرون عن أفكارهم ويتصوَّرون غايات يودُّون أو يتمنَّون لو يتبنَّونها، وغالباً ما تكون هذه الأفكار حماسيَّة وخياليَّة، غير أنَّهم لا يفعلون سوى القليل وقد لا يفعلون شيئاً لتحويل أحلامهم إلى واقع. هؤلاء الشباب مثاليُّون وأفلاطونيُّون وذوو طموحات مبعثرة وجهود مشتَّتة، وهم يظنُّون دائماً أنَّهم يفعلون الكثير ويتوقَّعون أن يحقِّقوا أشياء عظيمة.
- **الآملون:** وهم الذين انخرطوا في أنشطة تبدو وكأنَّها ذات آفاق هادفة، ثمَّ أدركوا أنَّها لا تتلاءم مع شغفهم ومواهبهم ونقاط القوَّة في شخصيَّاتهم، والأهم أنَّهم اكتشفوا أنَّ مستقبل تلك الأعمال لم يكن على المستوى المأمول. وللأسباب السابقة بدأت تلوح في حياتهم بعض المؤشِّرات أنَّهم لن يستطيعوا الالتزام والتمسُّك بمساعيهم في المستقبل، فهم يتنقَّلون من نشاط إلى آخر دون أي حسٍّ بالانسجام والاتِّساق مع ما يودُّونه أو يحقِّقونه في حياتهم.
- **العازِمون:** هؤلاء الشباب هم أصحاب الهمم الذين وجدوا غاياتهم وبدؤوا يكرِّسون لها أنفسهم، ورغم سعيهم الدؤوب لتحقيق أهدافهم والعقبات التي تعترضهم، فإنَّهم لم يفقدوا شغفهم، فضلاً عن أنَّهم يعرفون تماماً ما يريدون من هذا العالم ولهذا العالم، وعندما يفشلون، فإنَّهم يستوعبون الدرس ويُصحِّحون المسار.

أصحاب الهمم

هذه أبرز السلوكيَّات والعادات المستقاة والمستوحاة من حياة وأفعال من يسلكون مساراً هادفاً:

1. التواصل المُلهِم مع أشخاص خارج نطاق العائلة وعلاقات العمل المباشرة.
2. مراقبة الأشخاص الهادفين في مكان العمل.
3. اللحظة الكشفيَّة الأولى: هناك شيء ما في هذا العالم يمكن تصحيحه أو تحسينه.
4. اللحظة الكشفيَّة الثانية: الإيمان بإمكانيَّة الإسهام والعطاء وإحداث فارق.
5. تحديد الهدف، مصحوباً بمحاولات أوليَّة لتحقيق شيء ما.
6. تلقِّي الدعم من أفراد العائلة ومن العلاقات المباشرة أيضاً.
7. التوسُّع في السعي نحو تحقيق الغاية بأساليب إبداعيَّة ومترابطة ومنطقيَّة.
8. اكتساب المهارات اللازمة لبلوغ الغاية الأسمى.
9. تطوير الكفاءة والمهارات العمليَّة والفكريَّة.
10. التفاؤل والثقة بالنفس.
11. الالتزام بالهدف والدأب في سبيل تحقيقه مهما طال الزمن.
12. نقل المهارات ونقاط القوَّة الشخصيَّة واستثمارها في مجالات أخرى بعيدة عن الوظيفة مثل التطوُّع والعطاء، وممارسة هوايات جديدة.

الرؤية القصيرة والآفاق الضيِّقة

أبرز عائق يواجه الشباب الذين يبحثون عن مسار هادف هو تركيزهم على الآفاق قصيرة المدى، والتي ترسِّخ لديهم رسائل ثقافيَّة وسلوكيَّة متسرِّعة وسلبيَّة. صارت الثقافة التي تحتفي بالنتائج السريعة والإنجازات الاستعراضيَّة تلقى رواجاً بين أبناء الجيل الحالي، وحلَّت محلَّ القيم التقليديَّة - من تأمُّل وعُمق وتفكير استراتيجي- التي تعتبر ثوابت أخلاقيَّة لتطوُّر الإنسان وتقدُّم الجنس البشري، فالقنوات الإعلاميَّة الفوريَّة تبثُّ للأطفال في كلِّ مكان وعبر الإنترنت والتلفاز حكايات حول أشخاص يحظون بإعجاب وحسد كثيرين، لكونهم قد سلكوا طرقاً مختصرة نحو الشهرة والثروة. ومن أخطر الطرق وأكثرها شيوعاً تلك البرامج التي تحفل بالمسابقات التي تمنح الشباب شهرةً عريضةً وثروات طائلةً في غضون دقائق، أو أيَّام، أو أسابيع على أقصى تقدير، وبأقلِّ مجهود، ثمَّ يزداد بريق النجاح السريع ويتضخَّم بفضل الأوضاع الاقتصاديَّة التي تمخَّضت عن وفرة غير مسبوقة في المال واللعب والترحال والترفيه.

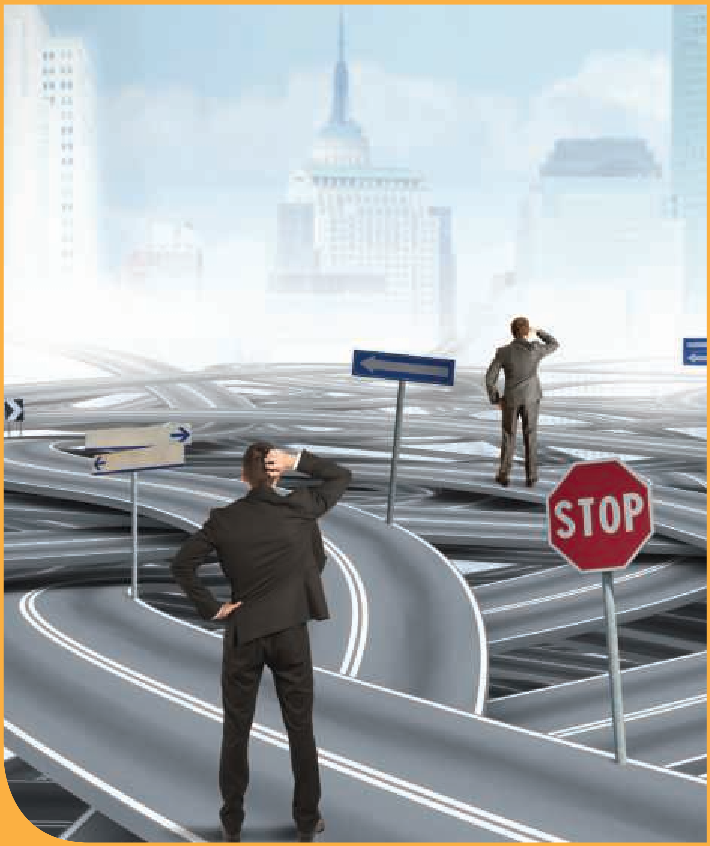

تحثُّ الثقافة الاستهلاكيَّة المهيمِنة اليوم بعض الشباب على بذل جهود كبيرة ولكن في مجالات ضيِّقة، مثل بدء مشروعات على الإنترنت تحقِّق الكسب السريع، من دون أن تضيف قيمة إلى المجتمع، أو تضفي على حياتهم معنى، فمن الواضح أنَّ تركيز ثقافتنا وسلوكيَّاتنا على المدى القصير ينبع من المخاوف وعدم الإحساس بالأمان الذي نواجهه في إطار اقتصادٍ عالميٍّ يتسم هو أيضاً بإيقاع سريع يدفعنا إلى تحقيق الأهداف بوتيرة تواكبه في السرعة والاندفاع الجنوني، فنحن نشعر بالقلق إزاء المنافسة التي نخوضها نحن وأبناؤنا في سعينا لتوفير الاحتياجات الأساسيَّة من مأوى، وتعليم، ورعاية صحيَّة. ومن المفارقات هنا أنَّنا نشارك في دفع أبنائنا نحو النجاح، دون أن نوفِّر لهم التأهيل والاستعداد الكافي لمواجهة تعقيدات الحياة، مع أنَّ الدروس المستفادة من تجارب الشباب المرتبكين والمأزومين تؤكِّد لنا كلَّ يوم أنَّ ثقافة السرعة والمدى القصير، تُفقِدنا ميزة التأمُّل والتخيُّل اللازمين للنجاح في عالم بالغ التعقيد.

لا للتعليم قصير النظر

التعليم السليم كفيل بإثراء حياة شبابنا وتنمية قدراتهم الفكريَّة بطرق لا حصر لها، ولكن عندما يتمُّ توجيه الطلاب نحو مسارات ذات أهداف تجاريَّة بحتة، لا تتوافق مع ميول الطلاب وقدراتهم، بهدف الحصول على وظائف برَّاقة، دون منافع تنعكس على المجتمع، فإنَّ المدارس والجامعات لن تحقِّق رسالتها. من مظاهر أزمة التعليم أيضاً أن تركِّز الكليَّات على مناهج مُفرِطة في التخصُّص، تُخرج لنا فنِّيين يُتقنون عملهم فقط، دون نظرة كليَّة إلى الحياة، أو إدراك لدورهم ودور علومهم في تحسين العالم. وهناك ملاحظة مهمَّة وذكيَّة من أحد خبراء مستقبل التعليم تقول إنَّه في كثير من الجامعات يكون أفضل ما تقدِّمه للطلاب هو المحاضرة أو الكلمة التحفيزيَّة الأخيرة التي يُلقيها أحد الناجحين أو أحد المشاهير على مسامع الطلاب في حفلات تخرُّجهم، لينصحهم أيَّ طريق يسلكون في الحياة، وكيف يكونون هادفين ونافعين ومُبدِعين، ولكنَّ هذا لا يحدث للأسف إلا في اللحظة الأخيرة، ودون توضيح عملي للطريقة التي يمكن للعلوم الرياضيَّة والاجتماعيَّة والآداب والفنون أن تسهم بها في تحقيق غاية أسمى، يتمُّ تحفيز الطالب للسعي إليها.

لا للإعلام قصير النظر

يذهب كثيرٌ من الشباب ضحيَّة للمؤثِّرات الإعلاميَّة الصريحة والخفيَّة، ومع تشَعُّب وتعدُّد القنوات الإعلاميَّة، من فضائيَّة ومواقع اجتماعيَّة تتسابق في استعراض الأحداث، وبثِّ الأخبار والمعلومات الملوَّثة، صرنا نقرأ أكثر من عنوان للموضوع الواحد في أكثر من قناة إلكترونيَّة، كما بدأت بعض دور النشر في التركيز على الكتب الأكثر رواجاً، بدلاً من الكتب الأكثر عمقاً ونقاءً وأصالة. وقد أسهم هذا المزيج في الهبوط بالذوق العام عموماً، وتلويث أذواق أبناء الجيل المعاصر خصوصاً، أولئك الذين نشأ معظمهم وهم يظنُّون أنَّ هذا هو الطبيعي والمُستساغ

هناك سباق حقيقي بين قنوات الإعلام، ولكنَّه يتجه نحو القاع، بدلاً من الارتقاء بأذواق الناشئة والشباب الذين يطرقون اليوم أبواب الحياة العمليَّة المُتعدِّدة. ومن المهمِّ تأكيد أنَّ المحتوى الثقافي الذي يصل إلى شبابنا اليوم لا ينهمر عليهم من الفضاء من تلقاء نفسه، فما دامت هناك قنوات، لا بد أن يكون هناك منتجون وموزِّعون ومراسلون ومراقبون، وهذا يعني بكلِّ بساطة أنَّ الكبار هم المسؤولون عن الرؤيَة الحكيمة التي يمكنها أن تصنع بيئة ثقافيَّة صحيَّة ذات معايير راقية، ورسائل محفِّزة ومُلهمة.

أوقد الشرارة واحذر لهيبها

يزعم الدكتور «بيتر بينسون» رئيس «معهد الأبحاث» في جامعة «مينيابوليس» أنَّ في داخل كلِّ طفل «شرارة» شغف واهتمام وإلهام، مدفونة أو كامنة في مكان ما. وبغضِّ النظر عمَّا يُبديه الطفل من لامبالاة حين يتحدَّث عن أنشطته اليوميَّة، فإنَّ هذه الشرارة لا تخبو تماماً، بل تعيشُ هامدةً في الداخل، بانتظار من يُحرِّكها. وليس هناك أقدر من الوالدين على تشجيع الطفل ودفعه للتعبير عن اهتماماته ومواهبه، ثمَّ تحريكها وتشغيلها. يَعرف الوالدان أبناءهما أكثر من الآخرين، ولكنَّهما قد لا يعرفان الكثير عن أحلامهم، والآمال الكبرى التي غالباً ما يحتفظ بها الأبناء لأنفسهم. وعندما تتمُّ مناقشة الخُطط المستقبليَّة، فإنَّ الآباء يهيمنون على المناقشات، مع أنَّ من واجبهم أن يتعرَّفوا تطلُّعات أطفالهم الأكثر عُمقاً، وأن يمارسوا فنَّ المحادثة بطرح الأسئلة المناسبة والاستماع إلى الإجابات، وهنا يجب أن يتأكَّد الأبوان من أنَّ محادثاتهم مع أبنائهم تتمُّ في حلقات ثنائيَّة أو ثلاثيَّة أو متعدِّدة الأطراف، بدلاً من الحوارات الفرديَّة ذات الاتجاه الواحد. وخلال تلك المحادثات، عليهم أن يمارسوا فنَّ الإنصات، وبراعة إجراء المقابلات، وحثِّ الأبناء على شرح وجهات نظرهم، مع طرح سيل من الأسئلة حول آرائهم، وإثارة تفكيرهم ليفكِّروا بشكل أعمق في كلِّ شيءٍ يشعرون أنَّه جدير بالملاحظة والاهتمام، فحينَ نستحثُّ في أطفالنا أفكارَهم الوليدة حول الأشياء التي يجدونها هادفةً، فإنَّنا نتمكَّن من استدعاء وسماع أفكارهم الأوليَّة حول أهدافهم، فنوفِّر لهم بيئةً هادفة ومواتية ومناسبة لإثارة الفضول والاستكشاف.

المحادثات الإرشاديَّة

على الآباء أن يتقاسموا أهدافهم وغاياتهم مع أطفالهم، وهو أمر نادراً ما يتوصَّلون إلى الطريقة المناسبة لتنفيذه، فبعد يوم عملٍ شاق، من الطبيعي أن يجنح المرءُ إلى الشكوى من وظيفته بدلاً من الحديث عن أهدافها ومعانيها بالنسبة إليه، فمن الأمور الصحيَّة لكلٍّ من الوالدين والمفيدة للطفل أيضاً، هو أن تتمَّ مناقشة الغاية الأسمى لأبويه من عملهما بشكل دائم ومتكرِّر وفي سياق أسري، تلقائي وبسيط. ويمكن أن يكون هذا النمط هو معيار أو مقياس كلِّ محادثة تقريباً بين الوالدين والطفل حول الأمور والاهتمامات والتداعيات التي تتعلَّق بالوظائف والحياة المهنيَّة عموماً.

تشجيع المبادرات

من السمات المميِّزة للشباب ذوي الأهداف الراسخة، أسلوبهم المُبادِر وسعيهم لتحقيق أهدافهم، فكثيراً ما نجد للشباب المبادرين معاييرهم ومقاييسهم وتعريفهم الخاص للنجاح. وعلى الرغم من أنَّ معظم هؤلاء الشباب يُبلون بلاءً حسناً في المدارس بشكل عام، فإنَّ عدداً قليلاً من الناجحين في الحياة يأتون من الصفوة الأكاديميَّة، أي من الطلاب الذين دأبوا على تحصيل تقدير جيد جداً أو ممتاز. إلا أنَّهم يتمتَّعون جميعاً بروح المبادرة، ولذا يمكن اعتبار المبادرة واحدة من نقاط القوَّة الكامنة في الشخصيَّة، وهي من أهمِّ مؤشِّرات واحتمالات النجاح في المستقبل. علماً بأنَّ تنمية روح المبادرة تعني تشجيع النشء على السلوكيَّات التالية:

- تحديد أهداف واضحة ووضع خطط واقعيَّة.
- التفاؤل والعزيمة والمثابرة.
- الثبات في مواجهة العقبات والصعوبات.
- تقبُّل المخاطرة والسعي إليها.
- المرونة عند مواجهة الفشل.
- الإصرار على تحقيق نتائج قابلة للقياس.
- المهارة وسعة الحيلة والابتكار.
- توفير الوسائل الكافية لتحقيق النتائج المتوخَّاة.

التفويض وتحميل المسؤوليَّة

على الآباء غرس القدرة على التصرُّف واتخاذ القرارات في أبنائهم، والمبدأ الرئيس الذي يقوم عليه التفويض والثقة بالتنفيذ هو استغلال كلِّ لحظة مواتية تنبثق تلقائيّاً، وفي أثناء المحادثات والأنشطة المنزليَّة كتوزيع المهام، وتنظيم مائدة الطعام، وتقديم الهدايا، وترتيب الغرف وتنظيف المنزل والسيارات، وريِّ الحديقة، ورعاية الحيوانات المنزليَّة الأليفة. فكلُّ لحظة وكلُّ وقفة وكلُّ فكرة وكلُّ تكليف يمكن أن يصنع فارقاً. استثمار المواقف العابرة لتكليف الشباب بمهمَّات ومسؤوليَّات ينجزونها بمفردهم، ويتحمَّلون مسؤوليَّتها، هي البديل الأصيل للتوجيه، بدلاً من إلقاء المحاضرات وتكرار النصائح التي لا تحقِّق أيَّ هدف موجود أو منشود.

المنهجيَّة الإيجابيَّة في تنشئة الأجيال

تُنسبُ فكرةُ «المنهجيَّة الإيجابيَّة في تربية النشء» إلى العالِمَين «بينسون» و«ريتشارد ليرنر» الأستاذين في جامعة «تافتس»، وثلَّة من العلماء ذوي الأفكار المشابهة الذين تبنَّوها وطوَّروها. لقد اكتشف الباحثون والمربُّون أنَّ التركيز على إيجابيَّات الطفل أفضل وأكثر فاعليَّة من التركيز على عيوبه ونقاط ضعفه. وعلى الرغم من أنَّ المنهجيَّة الإيجابيَّة تقرُّ بالتحدِّيات التي يُواجهها النشءُ في مرحلة النموِّ، فإنَّها ترفض اعتبار هذه العمليَّة مجرَّد وسيلة للتغلُّب على العجز وتدبُّر مواجهة الأخطار فقط، إذ يراها أشياعُها مصدراً

ومحركاً للقدرات الجليَّة والبارزة، لأنَّها تستدعي أجمل ما في الناشئين وتحوِّله إلى محور التركيز، بغضِّ النظر عن نقاط ضعفهم، ومهما كانت سيرتُهم وسجلاتهم حافلة بالمشكلات. تهدف منهجيَّة تنمية روح القوَّة والتفرُّد إلى استيعاب وتعليم ودمج الأطفال في أنشطة الحياة المثمرة، بدلاً من تصحيح سلوكيَّاتهم الخاطئة، ومعالجة الميول التي تعبِّر عن عجزهم عن التكيُّف مع المجتمع، أو ما يُسمَّى بالصعوبات التي تُواجههم.

نماذج تُحتذى

من المهم تعزيز المناهج التعليميَّة الملائمة في المدارس بنماذج إيجابيَّة من الحياة العامَّة. فالصغار يُراقبون البالغين ويستنبطون ما يستحقّ أن يسعوا إليه، وأفضل السُّبل لتحقيق ذلك. فما يفعله الكبارُ يُقلِّده الصغار، وما يُمارسه المشهورون يكرِّره الناشئون، وبشكل عامٍّ فإنَّ الإعلام ينقل كلَّ ما يحدث في العالم على الساحات السياسيَّة والاقتصاديَّة والفنيَّة والتقنيَّة، من دون أن يأخذ مدركات النشء بعين الاعتبار، وكأنَّ حقائق الكبار هي أيضا حقائق للصغار، وهذا يعني أنَّ ما نريده من القادة هو إصدار وإقرار قوانين سديدة واتِّخاذ قرارات رشيدة، فكلُّ المجتمعات تحتاج إلى قياديِّين ومفكرين وفنَّانين ورياضيِّين مشهورين، لكنَّ حاجتنا إليهم لا تعني أنَّه يمكننا أن نعهدَ إليهم بتشكيل شخصيَّات أطفالنا.

إذا كان للشباب أن يتطلَّعوا إلى أن يُصبحوا مواطنين إيجابيِّين بمعنى الكلمة، فلا بدَّ للشخصيَّات العامة التي يتابعونها عن كثب من أن تكون شخصيَّات هادفة، وذات سلوكيّات بعيدة عن الأنانيَّة والمصالح الشخصيَّة. هذا المعيار ينطبق على كلِّ قائد يشغل منصباً يجعله محطَّ أنظار العامَّة. وعليهم أيضاً أن يجتهدوا ويتواصلوا مع كلِّ شرائح المجتمع، وفي مقدمتها الشباب لينقلوا لهم أفضل تجاربهم، ويقدموا إجابات واضحةً وصريحة عن كلِّ الأسئلة التي تتعلّق بأهدافهم ومعاني رسالاتهم والأدوار الإيجابيَّة التي يلعبونها في إعادة تشكيل مستقبل مجتمعاتهم.

غايات التمكين

في نهاية المطاف، سيتخذ الشباب قراراتِهم بأنفسهم، وذلك لأنَّه ليس بإمكان أحد أن يصبح مسؤولاً عن مستقبلهم، سواهم. ولكن بإمكاننا أن نعملَ على تمكينهم من اتِّخاذ القرارات السليمة التي يمكن أن تُضفي على حياتهم شعوراً بالسعادة والإحساس بالإنجاز. بإمكاننا توفير البيئة الملائمة التي تُشعِل خيالهم، وإرشادهم إلى ما يثري طموحاتهم، وتوفير مُناخ ثقافيٍّ واجتماعيٍّ يُلهِمهم ويرفع معنويَّاتهم. وبغضِّ النظر عن دراساتنا وغيرها من الأبحاث التي أشرنا إليها في سياق الحديث عن تطوير إمكانات الشباب، فإنّنا لا نرى بين مختلف أجيال الشباب من لا يُمكنه تحقيق أهدافه بفعل وإلهام كلِّ هذا الاهتمام. الطريق إلى تحقيق الأهداف مفتوح للجميع، وحين نساعد الشباب على عبور هذا الطريق، بكلِّ عقباته ومطبَّاته، فإنّنا نُؤمِّنُ مستقبلاً واعداً للمجتمع بأسره.

كتب مشابهة:

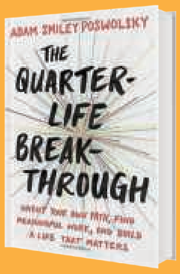

The Quarter-Life Breakthrough
: Invent Your Own Path, Find Meaningful Work, and Build a Life That Matters, October 2016 ,4,

by Adam Smiley Poswolsky.

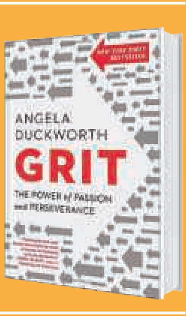

Grit
The Power of Passion and Perseverance, May 2016 ,3,

by Angela Duckworth.

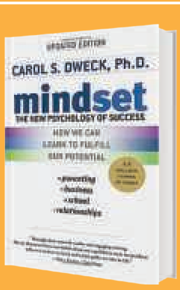

Mindset
The New Psychology of Success.

By Carol S. Dweck. 2006.

قراءة ممتعة

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على pr@mbrf.ae

تواصلوا معنا على
MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

Qindeel | قنديل للطباعة والنشر والتوزيع

CNBC
عربية
كل أخبار المال و الأعمال ... الاقتصاد
و الشركات تجدها على شاشة واحدة
تحليل متعمقا
مصر
الفوركس
البحرين
الرائدة في تغطية سوق الاسهم الخليجية
المملكة السعودية
عمان
58,000 غرفة فندقية
الكويت
24 ساعة في اليوم
الإمارات
قطر
7 أيام في الأسبوع
المغرب
تونس
أفضل تغطية لأخبار الأعمال العالمية
50 مليون أسرة
لأعمالك .. محطة واحدة
www.cnbcarabia.com
You Tube